(٣)

النور الحي القيوم
يقوم من دثر الأوزار ووهم الأعمال
عتيقا من هياكل الظلام والزوال
ها هم (الموتى يتكلمون) ويعملون
وها هم الأحياء اليقظون يتابعون وبإيمانهم يؤمنون
ها هو الروح يقوم لرب العالمين يوما للدين

حديث الجمعة

١٩ جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ - ٢٥ سبتمبر ١٩٦٤ م

أشهد لجسدي لأناي، أني ميت القلب، نائم النفس، خامل الحس، مقيد العقل، سجين الروح، وأن ما حولي من الناس لأجسادهم لأناهم، موتى القلوب، نيام النفوس، خاملو الإحساس. وأشهد أن الحي اليقظ المدرك من هذا الجمع بهذا المجتمع، إنما هو إنسان الله وظلاله، تولاه الله، وبين الناس أخفاه. أماته عنه، وبعثه بالحق منه، وسرى منه بنوره له، فيمن كان منه، بعمله حوله، قطب الرحى، فقام بالحياة، وقامت به الحياة، بما أحياه الأعلى باسم الرفيق، وأحيا به باسم الطريق.

فباسم الرب قامه، وباسم الله أقامه، فباسم الأب أكرمه وأعلمه، وباسم الآب أعلاه وكرَّمه، ونشره وأعلمه، وباسم الحق عنونه. زويت له الأرض وطويت له السماوات أحدية وجود، وحقية موجود، إنسانا لله، رحمة للعوالم تواجده، وهداية للعالمين بالحقيقة أظهره وأوجده، وبشرى للعالمين بالحق بعثه وكثره، وتيسيرا للعالمين من الخلق خلقا أظهره، وباسم العبد إلى الأعلى نسبه، وباسم الرسول منه، دعا من طلبه، وبه تواجده.

من شهده، شهده لنفسه حقا. ومن لقيه، لقيه منه صديقا وصدقا. ومن عشقه توحده، ومن توحده قامه، ومن قامه أيقنه، ومن أيقنه عرفه، ومن عرفه عرف نفسه، ومن عرف نفسه بالأدنى، عرف ربه بالأعلى، فعرَّفه، ومن عرف ربه أحدا بظلاله لنفسه، شهد أنه لا إله إلا الله، فعرف القيوم على قائمه بلا إله إلا الله، هو لا إله إلا الله، فأشهده، فشهد الله أكبر، يوم عرف، وقام، وشهد، أن محمدًا رسول الله، قائم قيامه، لمعناه ومبناه، في الله، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[1].

الرسول.. بدائمه بمعناه ومبناه، هو إنسان وإنسانية الحق لأحده، من آحاده في وحدة وجوده، بدءًا من حضرة الفطرة برشاده، وبدءًا من حضرة الخلق بعناده.

أبرزه الأعلى لفطرته من إنسانية هذه الأرض، هيكلا ومبنى، وهو ليس من أهلها، حقا ومعنى، رحمة منه لبشرية إنسانها تمت به له كلمته، للحي القيوم بها عليها لصبغته.

جعل به طريقها إلى عليين، وأعلى إلى حضرة الراشدين. جعل به دينها في فطرتها، وفطرتها في معرفتها، ومعرفتها في كشف الغلالة عنها لها، بوضع أزوارها من قوالبها عن قلوبها لمعانيها، بالانعكاس بالنظر والاتجاه في الوجهة إليها فيها، لأناها بالحياة لقلوبها ولقوالبها، اتجاها بقوالبها إلى قلوبها مركزها لإحاطتها، سيرا بظاهرها إلى باطنها، انطلاقا بقائمها إلى قيومها عليها بها.

وهذه هي طريق النفس إلى الحق، وهذا هو علمها، يوم يكون لها عِلم، وبالبعد عن هذا جهلها وجاهليتها. وفي جهلها وجاهليتها هاويتها، وضياع مزيتها، وهو التفريط في أمرها، فما تواجدت بالله أمانة اسمه ووجهه، إلا لتكون أمرا لله، بوجود لله بها.

فبدءا من هذه البشرية وحالها، قياما بذات ومعنى، لموالد الفطرة، تواجدا من سلالة من طين، بأطوار الحيوان، إلى بهيمة الأنعام، نبدأ معارفنا، ونبدأ طريقنا، ونبدأ سلوكنا، ونبدأ ديننا، ونبدأ حكمتنا، ونبدأ أمرنا، ونبدأ فهمنا عنا، فهما عن مبدعنا، قائمنا وقيومنا، الحي القيوم بنا، والحي القيوم علينا. فنبدأ الحياة، وتبدأ حياتنا، وتبدأ الحياة لنا منا إلينا، نبدأ أفرادا لأوادمها، إلى أوادم لمعانينا، وننتهي أُمما لأوادمنا لنا، بمعنانا فينا.

فنحن من قائمنا بالحق، معية لنا، قائما علينا، إما إلى تمسك به، وترقي وتصاعد فيه بأمره، في مجال إنساننا وإنسانيتنا، بدءا من قيامنا وقيامتنا، وإما إلى تفريط في أمرنا، فهاوية عن مستوى وجودنا، إلى فقدان لمعاني الحق فينا، ومعاني الحياة لنا، تفريطا في أمر الله بنا.

فنحن إلى تخلٍ عن وصفنا، ومعانينا، وبشريتنا، وبشرانا، واستهتار بإنذارنا وتحذيرنا، أن لا نفقد معانينا، وأن لا نظلم أنفسنا، وأن لا نفترق عن الحياة هي لنا، من الحي القيوم بنا، وإما إلى حرص

على استكمال لمعانينا، وتطوير لمبانينا، وكشف لأنفسنا، وحرص على حقائقنا، بانعكاس إلى أنفسنا، وطلب للأعلى لملاقاة لنا فينا، في بيته من قلوبنا، نشهده ونجتمع عليه بمعانينا قبلة وريادة لهياكلنا، رسولا من أنفسنا، بوصف الخلق معنا بيننا، مثلا أعلى لمعانينا لله، لقوالبنا هياكل عوالمه، وقلوبنا بيوت ذكره لأسمائه، متابعة له إلى وصف الحق لنا لقائم الحق به، لقلوبنا بيوت حياةٍ، وقبلة قوالب، لعوالم في طريقها للوجود، للحي القيوم بنا، لمشروع الخلق والحياة الأبدي.

فنحن في حاضرنا، من أمرنا، من مجتمع أرضنا ببشريتنا، نبدأ ونواصل، بدءا بعد بدء، من أفراد، وأُسر، وجماعات، وأمم، وبشرية، نتصاعد على ما نحن، وندخل السماء لأول دورها على ما نحن، مبعوثين فيها على ما متنا عليه، في السماء الدنيا من الأرض لنفوسنا، ونرد إلى الأرض على ما نحن، من أولى طبقات السماء ذات الرجع، إلى عالمنا وأرضنا ذات الصدع، كطلبنا وإرادتنا، لنستكمل خلقيتنا، بالتخلق بخلق الأعلى علينا، على أرض نشأتنا، في حجابنا، بمشيئتنا.

خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وما هذا إلا تصوير للنشأة لقوالبنا. وخلق الجان من قبل من مارج من نار، وما الجان إلا بدايات لنفوسنا إلى النار المقدسة، وما الملائكة إلا أنوار قيامنا لعقولنا، وما العوالم في فطرتها إلا تطوير قوالبنا وهياكلنا.

وما بيوت الله، يذكر فيها اسمه، إلا قلوبنا مرفوعة أو موضوعة، قبلة السجود للموجود لنا، يوم تستقيم أوزارنا بالإسلام لمعانينا. وما الحقيقة وحقائقها، إلا معانينا لمبانينا، وما الرب لنا، إلا قيومنا لقائمنا.

وما وجه الله لنا إلينا، إلا قيامنا به فينا. نرانا في مرآة أخوتنا لقائمنا بالحق في قيامنا، كما ندركنا لتأملنا في مرآة أخوتنا بقائمنا على الباطل، (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل)[٢]، (إن الطيور على أشكالها تقع)[٣]. (إن لله ملائكة سياحون في الأرض يجمعون الأهل على أهلهم)[٤].

فنحن هنا بداية لعوالم القلوب في أكنانها، أول عوالم الروح لمراقيها، وأول معالم الحق لها لمعارجها، ونواة عوالم الأكوان، لحقائق القلوب بقوالبها. ففي هذا العالم يولد كل مولود على هذه الأرض على الفطرة، لصبغة الله لها بأحدها، زويت له الأرض رسولا من أنفسهم، قدوة لمفرداته بهم، فالفرد وهو الذي يغير من أمره لفطرته، في متابعة موصوف أبويه له بلغة ومدرك جنسه لمعنى الله ورسوله عنده، على يقظة بهم أو في غفلة عنهم متأثرا ببيئته لعصره، أو مؤثرا فيها، حاملا معه لبيئته من صنعه. {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}[٥]، (من صلح أصلحنا له من صلح من آبائه وأزواجه وذرياته)[٦]، {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدتهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى}[٧]،

يوم يتكشف وجه الحق للأبناء بالآباء، أو يعرف الآباء معنى الآباء لهم فقدوه، في مشاهدتهم الأبناء منهم به مع أبنائهم كسبوه، فأبناءً لأبنائهم لأنفسهم طلبوه.

الله من وراء وجوهه شاهدة أو مشهودة، بإحاطته لا اتجاه له بالزمان، ولا بالمكان، {ذرية [طيبة] بعضها من بعض}[٨]. {كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها}[٩]، {فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}[١٠]، (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[١١].. (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم)[١٢]، (لا تزال طائفة من أُمتي قائمون بالحق لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)[١٣].

فنحن من عالمين في قيامنا نتكون، وبين عالمين لجناحينا نقوم.. عالم للقلوب، وعالم للقوالب. ونحن بجماعنا وبمفرداتنا، في رعاية من الحقيقة وعوالمها، بعالم من قلوب حية، وبعالم من قوالب حية.

فنحن بين عالم القلوب الحية، وعالم القوالب الحية لا عد ولا حصر لها، بين يدي رحمة الحي القيوم، كلتا يديه يمين، هو الخير.. هو الرحمة.. هو المغفرة.. هو العدل.. هو المشيئة.. هو الناموس.. هو الإرادة.. هو هو.. على ما هو، الحي القيوم في قائم الحياة، وفي قيوم الحياة على قائمها على ما هي، أزلا وأبدا، وسرمدا. (الحياة هي الحياة، والناس هم الناس)[١٤].

الكائنات والأشياء، لنا بنا، مظاهر للتعبير عن مكوناته (أقانيمه) بالحق، لمعاني العبد الحق لنا، يقوم في وحدانية مع الرسول، والرب المرسل لقائم أحدية الحق، من شتاته في واحديته لإنسان الله، جمعا وفردا، عَلما لأحده، ووجه واحديته، واسم أحديته، وقائم إحاطته، بقائم وقيوم رحمته، أحد من آحاد في المطلق اللانهائي المعروف بوجوب وجوده، عند موجوده.

فعوالم القوالب حية لها معراج وناموس، وعوالم القلوب حية لها معراج وناموس، واتحاد القلوب والقوالب في قائم هيكل، أو ذات أو كائن أو عالم، أو وجود واحد، على ما هو قائم، بمظهر وجوهر، على أرضكم ببشريتكم، بدءا للخلق، وأمرا للحق، أمر له معراج وناموس.

أمر الله ينتهي في نهاية مسعاه، وفي نهاية مرتقاه، بعد الفرق بين القالب والقلب، تشتيتا للأنا، إلى اجتماع وجمع لأحدية حق، إنسانا في حضرة رشاد، لا تعرف العناد، ولا يطغيها الجهل، ولا يعوزها العلم، ولا تتعدد مع الأكبر من الحق، ولا مع الأصغر من الخلق، ولا تعرف التعدد لمستويات الحقائق، ولا تقول بالفرق بين موجود الحقيقة بوجوهها لمعانيها، وموجود الخليقة عند رائيها، لمعالمها للحق بها، تعبيرا بها عن معيته لها، في أحدية جمعها لحكمته منه لواعيها.

فأنتم هنا من حيث وحدة قوالبكم لقلوبكم أول وأسفل حضرة الإنسان، لعاليه في أحسن تقويم وأسفله لأسفل بسافلين. خلقكم الأعلى لعاليكم، والأدنى لدانيكم، لنفسه، بحضرة الإنسان لرشاده، حضرة لا يعوزها اللقاء فيها لمعالمها لمعانيها، ولا يخطأها الرشاد لها عنها فيها.

ولا يغيب عندها الحق لها، عينها وحقها وأمرها، هي مجتمع القلوب الحية لعوالم الوجود بها قائمة، قلوب كبيرة واسعة تجدد نفسها في دوام، كلما خلقت لها قوالب من عوالم، في طريقها للتواجد من عملها، بقلوبها لقائم ونافذ إرادتها.

إن مجتمع القلوب، كما هو مجتمع القوالب، يبدأ من الفرد، لبنة تواجده، ويتجمع بالبيت، وبالبيوت، وبالمدينة، وبالمدن. مُدنه وجود، وبيوته عوالم، وأهلها حقائق.

فالناس في مجتمعهم الصغير على الأرض يعبرون بموجودهم الزائل عن الوجود الكبير الباقي، بعوالمه وحقائقه، كتاب علمه وقرآن بيانه. فهذه البشرية لها قوالبها وقلوبها، وبها مظاهرها لحقائقها (الظاهر مرآة الباطن)[١٥]، فردها جماعها، وجماعها فردها، فيها يتواجد الإنسان من بداياته لنهاياته، بدورة من بدئه لتمامه، في دورة لظهور أوادمه، ونشأتها، لقيام إنسانه بحقيقته، (أُعطيت جوامع الكلم)[١٦]، (أول من تنشق عنه الأرض أنا)[١٧]، في دورته الخالدة عليها، بأيامه للبلاغ والرحمة، بالبشرى والإنذار، وأيامه بالفصل والإنظار.

فكائن الإنسان بين باطن لظاهر، وظاهر لباطن، بمعاني قلب وقالب، موجود مزدوج متزاوج، باطنه قلبه، وظاهره قالبه. ولذلك وَجَّهته الفطرة إلى نفسه، يوم قالت له {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[١٨]، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[١٩]، وجددت له عطاءه بخلقه لنفسه بنفسه الأعلى وبعمله، {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى}[٢٠]، وبسطت له رزقه، وقد خلقت الفطرة كل شيء من أجله.

وكشفت له عن حقه بكتاب نفسه، وأعطته حريته، بوضع أوزاره عنه، يوم علمته وأعلمته أن الله {قائم على كل نفس بما كسبت}[٢١] وأن {كل نفس بما كسبت رهينة}[٢٢]، وأنه {من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}[٢٣]، وأنها (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[٢٤]، وأن الله ما كان بظالم أو ظلَّام للعبيد، وأن الله غير مظلوم عند عباده، وأنه لا يتهمهم بالظلم له ولا لناموسه، {وما ظلمونا}[٢٥]، ولكنه يحذرهم من الظلم لأنفسهم بأن لا يظالموا، ولكنهم كانوا لأنفسهم، بمسلكهم بجهلهم يظلمون، وأن الله أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى. كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

إن الناموس الإلهي لا يفترق عن واضعه، ولا يختلف عنه، فما يليق أن يتصف الحق بأوصاف الخلق في عوالم حجابهم. فالملك في عوالم الخلق يفترق عمن يُشَرع لهم، ولا يلتزم في ملكه ولا يلزمه ما وضع من القوانين (الملك فوق القانون)[٢٦]، ويدبر وينظم لقوانينه كيف تأخذ طريقها للنفاذ، وللتطبيق وللاحترام، لأنه يعوزها هذا لطبيعتها.

ولكن السلطان في مملكة الله أمره يختلف، فهو لا يفترق عن الناموس الذي قام به مُلكَه، والذي يقوم بملكه، لأن المَلك والمُلك في ممالك الحق حق، والحق لا يتجزأ، وليس كمثله شيء، فالملك هو الملك، والمالك لزمام كل شيء، هو الذي لا يخرج في ملكه عن سلطانه شيء، ولا يعزب عن علمه في ملكه شيء، ولا يملك أن يختلف بإرادةٍ، عن إرادته، في دائرة إرادته، صاحب إرادة بوجودٍ باسم شيء، أو باسم كائن. الكل معه في موجوده، عين موجوده، ولا وجود له، فالناموس لا يفترق عن ذاته، ولا يستقل عنها. وهو ما يمثله كائن الإنسان، بأحده بهيكله، جماع محتوياته من حي كائناته من خلاياه ودمه، لأُممها بأعضائه، وأطرافه وجوارحه.

فالله في ملكه هو ناموس الحياة.. هو ناموس الوجود.. هو ناموس الحق.. هو ناموس الخلق، منفعل في انفعال كل منفعل به، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا.

يصدر الناس أشتاتا في ظل هذا الناموس، ويتجمعون من شتاتهم إلى وحدانيتهم في القيوم على قائمهم بالحق، بما كسبوا في ظل هذا الناموس، فمن وحَد الله فقد وحد نفسه وأناه ومعناه، يوم تجمع من شتاته، إلى قيام أحديته، من واحديته، بقيوم لقائمه اسما لله، لم يفرط في أمر الله، لأمره بهذا الناموس.

ويوم يصدر الإنسان مشتتا، فيتفرق من أحده لواحديته مبعضا عن أناه بذاته، لصفاته، لأناه ومعناه، {يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم}[٢٧]، فيقوم عليهم قائم الحق لهم، مكسوبا لأناهم موحدين، يوم ندعو كل أناس بإمامهم، {وأذن في الناس بالحج يأتوك..}[٢٨] ومفقودا لأناهم وقد أصبح بعيدا عن معناهم، الذين أشركوا، الذين كفروا، أعمالهم كسراب بقيعة، عمدنا إلى ما عملوا فجعلناه هباءً، يحسبه الظمآن ماءً، فإذا وقع القول، وتكشف الأمر، فإذا هو يراه هباءً، فإذا هو يراه سرابا بقيعة، ووجد الله عنده، فيوفيه حسابه، {كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا}[٢٩].

عرف أنه ميت.. عرف أنه لم يحيي نفسه.. عرف أنه قطع كرة خاسرة.. وجاءت سكرة الموت، بالحق، الذي عنه حاد، والذي ما كسب له به علم، ولا أقام له به فيه رشاد، فرط في أمره.

فإذا هو يرى أن نفسه إنما هي محاسبه، وأن جوارحه، إنما هي دائنه ومطالبه، وهي شهود إدانته. وإذا قاضيه إنما هو فيه، وأنه ما كان إلا ضميره، وأن القانون الذي أدين به وطبق عليه ما كان بعيدا عنه، بل كان قريبا منه، لا بل كان فيه، إنما هو ناموس وخلقٌ، كائن روحه، لمدركات عقله، وترجمان حسه، فيدين هو نفسه بنفسه، وينساب مسوقا بإرادته إلى هاويته، ويوقع الجزاء هو على عينه بعينه.

حتى إذا ما استوفى إنظاره، ودارت الحياة دورتها لبدء بمولد فطري، وبدأت مرة أخرى بدايتها، وهي دائرة مع كل كائن حي، بادئة في دورتها مع كل بدء بحياة، متجددة في مسيرها ومسيرتها، كلما تجددت جلود البشر، قوالب لقلوب، في أكنتها، على فطرتها، قوالب نائمة وقلوب منقبرة، بجديد عين قديم من نشأتها.

وقد أُعطيت جديدا، لدورة في الفطرة، علها تغير من طبيعتها وجبلتها، كلما مستها البأساء والضراء في محنتها، حتى تخرج من نارها إلى جنتها، في إرادتها وعلمها ورشادها عن ربها لها معها فيها، وعن خالقها بما هو مبديها، وعن المحيي في إدراك الحياة لها، إيمانا بالحي القيوم، بقائم حياتها.

هو لها من ورائها بإحاطته هي له وجه، وهو فوقها برحمته هو لها لفوقها ظل وقايتها، ومن تحتها بقدرته وبعزته، يمسكها أن تزول يد عنايته، وهو من أمامها بوجوده لشهوده، حتى تبلغ برحمته المأمول، بشرية مبشرة، وإنسانية محذرة، أوزارا تقبر، وأرواحا تطلق، برقاب تعتق.

ثم هي مرة أخرى أشباحا من الأرض تخرج، يوم تعود أرواحها من السماء مردودة، فإذاها مرة أخرى بعينها لعينها من الأرض موجودة، برسالة لمرتقاها، أو لجديد لها في معناها، فإن خرجت يقظة، وبربها وبالقضاء معتبرة، بدأ مسيرها وبدأ رشادها، وبدأت الحياة لحياتها. (لا يدخل ملكوت السماوات إلا من ولد مرتين)[٣٠]. (ولا يدخل الجنة عجوز)[٣١].

إنها الحياة في دورة القوالب، وفي دورة القلوب.. إنها في دورة القلوب إلى جديد مولد فطري، وإنها في دورة القوالب إلى قديم وجود، غير مرضي، ففي وحدانية القلوب والقوالب، علم النفس ما قدمت وأخرت، وخروج ظلال الإنسان بعمله من أزله، ليعلم بشهادته لنفسه في حياة قلبه، يوم يحيا بقلبه لقوالبه جديد نفسه لأبده، فيقوم معنى الحق له، ومعنى أمر الله لأمره.

إن الإنسان بإنسانيته يربح أنه هو كل شيء، وإن الإنسان بفقدان إنسانيته، يفقده، فهو لا شيء، ولا وجود له. إن الإنسان هو العدم، يوم يفرط في أمره من أمر الله. وإن الإنسان هو الوجود، يوم يحرص على أمره بأمر الله. وإن الناس في قائمهم، بين مفرط وحريص، حريصهم الحق، ومفرطهم الباطل. إن المفرط هو ما عرفت عنه رسالة الفطرة في قديمها، بالشيطان الرجيم، يرجم من عمله

فيهلك. وإن الحريص هو من عَرفت عنه بعباد الرحمن المصطفين، والمكرمين. {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[٣٢].

إن الروحية بصلاتها وعلمها ومعارفها، وقيامها وقائمها، وقيومها، وعارجها ودانيها تقيم الدين، على حق لا عوج له، على ما عَرَّف الحق، بعقائد الدين في جوهرها، مجتمعة في زاوية الحق فيها، في بيئات الأديان، وإن اختلطت فيها جميعا زاوية الحق لها، مع قشور أغلفتها بالمأمور به والمنهي عنه، مع الزمن.

فمؤسسو الدين في كل عصر، وفي كل أمة، وبكل لسان، جاءوا بزاوية جوهرية من زوايا الحق دون التعريف بجماعه.

إن الدين اليوم، في ظل رسالة الروح، ووصلة الروح، وقيامة الروح، وقائم الروح، وقيوم الروح على عالمنا عالم روح، لقلوب في أكنانها أول عوالم الروح، وبدء عوالم الروح، وأول عوالم الأشباح، وبدء عوالم الأشباح، يأتي من الروح بجماع زوايا الحق، في بيان وتفصيل يقبله العقل، ويسنده العلم، يكشف عن الطريق لقائم الحياة، وأنها إلى قيام بوجود عند كاسبها، أو إلى قيام في وهم من موجود، عند فاقدها. فالإنسان بتوقيته في حكم المفقود، يوم يقوم القائم الموقوت، بوهم الوجود، ولا وجود له، فالعدم مآله وفي انتظاره. فالإنسان هو الحياة، عبرت عنها الأشباح، وقامتها الأرواح.

فماذا نحن في أمرنا؟ وها هي وصلة الروح وصلت إلى عالمنا، وإلى حسنا، وإلى مداركنا، وإلى قائمنا، وإلى قيومنا، وإلى حياتنا، فقطعت جهيزة قول كل خطيب، (الموتى يتكلمون)[٣٣].

إن الدين اليوم يقوم على أساس من الواقع، ومن المشاهدة، ومن الفطرة، ومن العلم، فإذا قلنا إنه قام في الماضي على أساس من العقيدة والمنطق، فقد استوفى الدين مراحله من القيام على العقيدة، والمنطق، وانحرف به محترفوه إلى ضلال أنفسهم به وإضلال أتباعهم بالدعوة إلى أنفسهم، وابتعدوا به عن المنطق وعن الجادة، إلى اعتقاد معنى الشيطان فيه، باسم الرحمن له...

بجدل في الله بغير علم يقوم، وبغير كتاب ينير، وبغير نور يسرى تمسه القلوب، وتشرق به العقول أو يمسها ويشرق منها، وساروا بالدين إلى غير سليم غاية يهدف لها، ولكن إلى باطل، وإلى غش، وإلى خدعة، وإلى تجارة، وإلى استغلال، وإلى أنانية منحطة، {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد}[٣٤].

إن العاقل ليتساءل: ما هو السبيل لكشف العمل الصادر عن هؤلاء المجادلين في الله بغير علم؟! إن أمرهم لا يخفى على العقل اليقظ ولا على الإحساس الفطري السليم، فما كان عملَهم إلا اتباع كل شيطان مريد، باسم الله، وباسم رسول الله، وباسم الحق، وباسم الصدق، وباسم القيامة

والقيوم، وباسم الساعة واللقاء، للحق أو الجزاء، وباسم المعرفة، وباسم النور، وباسم الحياة، وباسم الروح، يتبعون كل شيطان مريد مناصرين، وبمظاهر الغيرة على القيم العليا مجادلين.

يجادلون في الله بغير علم، تعالى الله عن وصفهم وعن كل وصف، وعن علمهم وعن كل علم وعن إحاطتهم، وعن كل إحاطة، وعن قيامهم وعن كل قيام. إنما الأمر له، والحكم له، والشرف له، والفعل له، والحكمة له، إنه يُحكِم[٣٥] بالشيطان، كما يُحكِم بالرحمن.. فتعالى الله عن وصف الجهلاء، وعن علم المرائين. (إن الله ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر [ينتقم به ثم ينتقم منه])[٣٦].

أبرز الله رسوله المرة بعد المرة، ولم يخفه بعد إبرازه كلما أبرزه. وأعلى الله رسول الله، ولم يغيبه في عليائه، وأدني رسول الله، ولم يقبره في ليل سكينته، يتلو كتابه على مكث ليبين لهم، يقوم ويتقلب في الساجدين، يتكلم بكل لسان، ويقوم بكل إنسان، ما استيقظ في الله قلب، واستقام فيه قالب. {واعلموا أن فيكم رسول الله، لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم}[٣٧]. وما كان الله ليعذبكم وهو فيكم، وما كان الله ليعذبكم وأنتم تستغفرون، فاتقوا الله، وارجعوا إلى الله، واستغفروا الله، وحرروا قلوبكم من سجنها، وحرروا عقولكم من ظلامها، وطوروا قوالبكم من ركودها، لعلكم ترحمون.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله

اللهم يا من جعلت من رسولك داني رحمتك بأزلك، وأقمتها علينا لدائمنا بدائمك لأبدك.. اللهم برحمتك به فألحقنا به قياما وسلاما، ووجودا وإيمانا، ولا تجعل حياتنا منا بدءا من أنفسنا، بقائم عدلك، وقيوم فعلك، فقد قبلنا بإيماننا به وجها لك هديتك.

اللهم لا تجعل لنا بدءا مختبرا، بمولد فطرتنا، مفطورين على عدلك، وقائم أمرك، وألحقنا بقديم أمره، وأزلي أمرك به، وسر بنا في أبدي أمره وأبدي أمرك، رحمة منك بنا، وإيمانا منا بك وبرسولك، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم إنا نعلم أن القول واقع علينا، وأن الناموس مطبق فينا، وأن قضاءك لا مرد له.. اللهم الطف بنا في قضائك، ووفر من حظنا في مغفرتك من عطائك، وعاملنا برحمتك في ابتلائك، ولا تمنحنا رد أعمالنا بعدلك في جزائك، فقد عرفناه ناموس مغفرتك وعفوك من جزائك، فأوفر لنا به حظنا من منتك ومن عطائك.

لقد قبلنا رسول الله، رحمة مهداة، فلا تسترد منا الهدية، ولا تمنع عنا دوام العطية، وادفع عنا به شر البلية، وارجعنا به إلى أحضان رحمتك الرضية، وأنوار طلعتك البهية، وروح قيامتك العلية، وقيوم قدرتك الغنية.

اللهم بحكمتك وبعزتك، ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وأصلح أمرنا حكاما ومحكومين، غافلين ويقظين، راشدين وجاهلين، مجاهدين ومتابعين، واجعلنا محلا لرحمتك، ولا تجعلنا آية لابتلائك ونقمتك، في اختبارك لخليقتك.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

مقدمة الناشر لكتاب (تعاليم سلفربرش) طبعة ١٩٣٨ السيد ا. و. أوستن: (هذه التعاليم التي يدلي بها سلفربرش والتي يصر على أنه ليس هو مؤلفها بل هو الرسول المكلف بنقلها من المصادر العليا، ولا يقصد بها أن تكون إعجازا في البلاغة التي يدلي بها مخلوق أوتي كل الحكمة.

وليس من تعاليم الروحية أننا نجرد أنفسنا من غريزة النقد، وأن نوافق بدون تفكير على كلام إنسان آخر سواء كان هذا الإنسان في هذا العالم، أو في العالم الآخر.

كما أنه ليس الغرض منها خلق دين جديد إذ أن الإلهام لا ينقطع أبدا، وإنما يتوقف على ما لدينا من استعداد لاستقباله.

إن سلفربرش يحتكم إلى المنطق ويقول إن أي شيء لا يتسع له منطق القارئ يجب أن يرفض أو أن يترك على الأقل حتى تثبت صحته في المستقبل.

ويجب أن ندرك أن كل فصل في هذا الكتاب ليس بالضروري أن يكون خطابا متصلا نطق به الروح المرشد في جلسة واحدة، بل قد يكون مستخرجا من أحاديث استغرقت ثلاثين أو أربعين جلسة. وإنما كانت مهمتي أن أجمع الأفكار المتشابهة في مكان واحد).

واضح من هذا أن ما جاء به سلفربرش كان إعجازا في البلاغة، وأن فيه كل الحكمة، وأنه متفق مع دائم الفطرة، وقائم الصبغة للوجود، واتصال شقي الحياة بدائم الإلهام، تجديدا لما جدد به الرسول دائم الرسالة.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الأحزاب - ٦

٢ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

٣ أحد الأمثال الشهيرة والدارجة، التي تستخدم للتعبير عن مدى تشابه أو تقارب شخصين في التصرفات أو طريقة التفكير وتوفقهما معا. ومثل "الطيور على أشكالها تقع"، يعود إلى نصف القرن السادس عشر.

٤ حديث شريف ذات صلة: (إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض، يسوقون أهل الذكر إلى أهل الذكر). وبداية الحديث الشريف: "إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنادَوْا: هَلُمُّوا إلى حاجَتِكُمْ قالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِمْ إلى السَّماءِ الدُّنْيا..." صحيح البخاري. صحيح الترمذي.

٥ سورة الرعد - ١١

٦ استلهاما من {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ.} سورة الرعد – ٢٣. و{رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.} سورة غافر - ٨

٧ سورة الأعراف - ١٧٢

٨ سورة آل عمران - ٣٤

٩ سورة ابراهيم - ٢٤-٢٥

١٠ سورة الرعد - ١٧

١١ حديث شريف تقول معظم كتب الأحاديث إنه لم يثبت عن الرسول ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

١٢ من حديث شريف: "حياتي خيرٌ لكم تُحدّثونَ ويُحدَّثُ لكم ووفاتي خيرٌ لكم، تُعرَضُ عليَّ أعمالُكم فما رأَيْتُ من خيرٍ حمِدْتُ اللهَ عليه، وما رأَيْتُ من شرٍّ استغفَرْتُ اللهَ لكم". أخرجه النسائي والطبراني.

١٣ من الحديث الشريف: "لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي على الدِّينِ ظاهرينَ، لعدوِّهم قاهرينَ، لا يضرُّهم مَن خالفَهُم، إلَّا ما أصابَهُم مِن لأواءَ حتَّى يأتيَهُم أمرُ اللَّهِ وَهُم كذلِكَ. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وأينَ هُم؟ قالَ: ببيتِ المقدسِ وأَكْنافِ بيتِ المقدسِ". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة." أخرجه الحاكم.

١٤ قول مأثور دارج.

١٥ عبارة متناغمة مع مقولة من خطبة للإمام عليّ ـ كرم الله وجهه: "...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه...". بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

١٦ جزء من حديث شريف. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

١٧ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخرَ وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخرَ ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ. "صحيح ابن ماجه.

١٨ سورة الملك - ٤

١٩ سورة الذاريات - ٢١

٢٠ سورة النجم - ٣٩

٢١ سورة الرعد -٣٣

٢٢ سورة المدثر - ٣٨

٢٣ سورة الزلزلة - ٧-٨

٢٤ من حديث قدسي: "٠٠ يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدُّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح. أيضا الحديث: " يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه." صحيح مسلم.

٢٥ سورة البقرة -٥٧

٢٦ إشارة لما تتضمنه الدساتير في نظام الحكم الملكي عموما.

٢٧ سورة الزلزلة - ٦

٢٨ سورة الحج - ٢٧

٢٩ سورة الإسراء - ١٤

٣٠ من كلمات السيد المسيح عليه السلام: "الحق الحق أقول لك: ما من أحد يمكنه أن يرى ملكوت الله إلا إذا وُلِد ثانية." (يوحنا ٣: ٣)

٣١ حديث شريف: "أتت عجوزٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال لها صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لا يدخلُ الجنَّةَ عجوزٌ فبكت، فقال: إنَّك لستِ بعجوزٍ يومئذٍ قال اللهُ تعالَى إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا"[الواقعة ٣٥،٣٦]. الراوي: الحسن البصري، المحدث: العراقي. تخريج الإحياء للعراقي.

٣٢ سورة النحل - ١٢٨

٣٣ إشارة إلى الأرواح التي تتحدث من خلال الاتصال الروحي.

٣٤ سورة الحج - ٣

٣٥ أضيف التشكيل "يُحكِم" وفقا للنسخة الأصلية المراجعة من السيد رافع

٣٦ حديث شريف: "إن الله ليؤيد هذا الدِين بالرجل الفاجر." أخرجه البخاري ومسلم٠٠

٣٧ سورة الحجرات - ٧